شوف تشوف

رشيد نيني
r_niny@yahoo.fr

W.C

لطالما تحدثت في هذا العمود عن المراحيض ودورها في الحياة اليومية للمواطنين، لكن يبدو أن بعض المسؤولين في هذه البلاد لا يريدون أن يفهموا أن هذا المكان يمكن أن يكون في لحظة ما أهم مكان في العالم بالنسبة إلى المواطن. وهذا بالضبط ما لم يستوعبه عامل إقليم العرائش عندما احتضن مقر عمالته أشغال المجلس الإداري لأكاديمية طنجة تطوان الأسبوع الماضي. فقد اكتشف بعض الذين حضروا أشغال المجلس عندما شدهم الحنين إلى المراحيض أن هذه الأخيرة لكي تدخل إليها يجب أن تستعمل قوارب شراعية بسبب برك الماء الآسنة التي تتجمع داخلها. أما الروائح فيصفها مراسل "الصحراء المغربية" الذي نقل الخبر، بأنها تزكم الأنوف. وهكذا لم يجد هؤلاء المواطنون الذين زيرهم الحال سوى أن يسلموا أعضاءهم الحميمية للهواء الطلق، اللهم ملقاك مع الخلا ولا مع الخنز. ومنهم من فعلها مكرها خلف سور العمالة. وأكثرهم صبرا تحمل إلى أن غادر مقر العمالة، واحتراما لوزارة الداخلية ووزيرها الجديد فعلها وراء سيارات "الكات كات" التابعة لوزارة التربية الوطنية. نرجو أن لا يغضب منهم السي الحبيب المالكي، فللضرورة أحكام، واللي مايعدر دابا يتبلا، وعلى غفلة !

وقد ذكرني هذا المنظر بمنظر أولئك الركاب الذين يوقفون الحافلات في الطريق عندما تشدهم الكافرة بالله، بعدما يكونون قد أصيبوا بالإسهال نتيجة التهام طاجين مفخخ، فينزلون وهم يفتحون أزرار سراويلهم

يفعلونها في الظلام جنب الرويضة بسرعة وعينهم على السائق خوفا من أن يذهب ويتركهم في الخراء، عفوا في الخلاء !

فحافلاتنا كما تعلمون لا تتوفر على مراحيض كما هو الشأن بالنسبة إلى حافلات الدول الأوربية. فالمغرب إلى كان الكار عندو الفرانات صحاح مايعاودها حد لحد، بقا عاد يكون عندو الطواليط. والحقيقة أن وزير النقل يجب أن يصدر قانونا يجبر أرباب الحافلات المغربية على تركيب مراحيض داخلها، لأن كثيرا من المسافرين يصابون بسريسرة بسبب السياقة المجنونة لبعض الشوافر الانتحاريين، ومنهم من ينزل ممخوضا من الكار وهو لا يكاد يمشي خطوة واحدة مخافة أن يفعلها في سرواله. وزير الداخلية الجديد أيضا مطالب بأن يدشن سلسلة مراحيض جديدة في مختلف العمالات والمقاطعات والباشويات التابعة لنفوذه. اللي بغا ينقي ينقي باب داور بعدا. ومؤخرا دخلت إلى مقاطعة بوسمارة بالمدينة القديمة وسط الدار البيضاء، وقادتني الظروف، حاشا وجوهكم، للبحث عن بيت الما، فكان هناك فاعل خير دلني على مكانها. وعندما دفعت الباب رأيت مرحاضا لا يمكن أن ترى مثله حتى في غوانتانامو. وبحثت عن مفتاح النور لكي أشعله فلم يعمل، وعندما رفعت رأسي إلى السقف وجدت أن مصباح النور غير موجود. حاولت إقفال الباب فلم أستطع، وتذكرت أبواب مراحيض الحمامات الشعبية المتخمة بالرطوبة والتي لكي تقفلها يجب أن تكاليها بقب مليء بالماء من الداخل حتى لا يدخل أحدهم ويبول عليك خطأ في الظلام !

ففكرت مع نفسي وقلت إن هذه المقاطعة تشتغل فيها موظفات أيضا، فأين يذهبن عندما يردن قضاء حاجتهن. نديروهم أسيدي كايخرجو من ديورهم فالصباح قاضيات حاجة، كيفاش غادي يديرو إلى جات شي حاجة على غفلة. والحال أن مرحاض المقاطعة يخجل الشيطان نفسه أن يدخل إليه.

والملاحظ في بعض الإدارات الرسمية أن المساواة الوحيدة التي يطبقها مديروها بين الرجل والمرأة هي المساواة في المرحاض، فليس هناك فرق بين مراحيض الذكور ومراحيض الإناث. هناك مرحاض واحد ميكست للجميع. مع أن الفرق بين الموظف والموظفة واضح في الترقية والتعويضات. ومؤخرا وصلتني رسالة من موظفة في إحدى العمالات المغربية تشتكي من قرار الترقية الجديد الذي بدأت وزارة الداخلية العمل به في الباشويات والعمالات، والذي يشترط الذكورية مع أربع سنوات كأقدمية في السلم العاشر للترقي إلى منصب رئيس مصلحة. وتقول الموظفة بحرقة إنها إحدى المتضررات من هذا القرار، ورغم أنها حاصلة على دبلوم من مدرسة وطنية عليا مع أقدمية تصل إلى ست عشرة سنة، إلا أنها لا تستطيع أن تهضم كيف سيفضلون عليها موظفا لا يتوفر حتى على شهادة الباكالوريا، وكل ما لديه أقدمية ست أو سبع سنوات في العمل، وشرط الرجولة. مع أن بعضهم يفتقد إلى هذا الشرط أيضا !

وخلال عيد الأضحى الماضي قامت شركة أمنديس في تطوان بمنح مستخدميها الرجال منحة الكبش، وحرمت المستخدمات المتزوجات بمستخدمين في الشركة نفسها من المنحة بدعوى أن رجالهن أخذوها. اللي هي خدامة فالشركة ومجوجا منها تمشي تلصق راجلها باش يقسم معاها فلوس الحولي. فالمساواة في الحقوق بين المستخدمين الرجال والمستخدمات النساء في عرف هذه الشركة الأوربية مبدأ يبدو غير قابل للتحقيق في المغرب.

المساواة ليست مفقودة فقط بين الرجل والمرأة في المغرب، وإنما أيضا بين الطبقات الاجتماعية. وقد رأيت سيدة أنيقة في نشرة الأخبار تعبر عن انزعاجها من ارتفاع ثمن الأسماك بعد إقبال المواطنين على استهلاكه بسبب الخوف من الدجاج. وكأنها تقول لهم آش لاحكم لشي حوت، غليتو علينا السوق، موالفين بالدجاج كولو الدجاج !

وقبل أن أختم أريد فقط أن أحمل إلى علم السي جطو أن ظهوره الأخير في وسائل الإعلام وهو يأكل الدجاج المشرمل قد أعطى أكله، فمباشرة بعد ذلك ارتفع ثمن الكيلو الواحد من الدجاج بدرهمين ونصف دفعة واحدة. أحد المزاليط علق قائلا على هذه الزيادة :

- هاد الشي راه غير غمسو جوج وزارا فالمرقة طلع الثمان، حفض الله ماغمسوش كاملين !

كنا فالمراحيض حتى صدقنا فأنفلونزا الطيور. غير سكتو، باين ليا أن هاد الشي ديال أنفلونزا الطيور فالمغرب بحال شي واحد دايرها وبارك عليها وضاربها بسكتة !